الكلمات والمواعظ

عندما تكسف الشمس

مَنقُولٌ مِنَ التَّسجِيلِ الصَّوتِيِّ لِلشَّيخِ الدُّكتُورِ

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذي الملكوت والجبروت، له الحمد وله الملك، وله العزُّ وله الكبرياء، يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

P

K

إنَّ الشَّمس أصبحت اليوم علينا كاسفةً، ذهب بعض نورها، وإنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك لنا من ذلك خبرًا؛ فقد صحَّ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّ اللهَ يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ**»[1].

فأخبرنا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ هذا الأمر الَّذي يجري في ملكوت السَّماء **لأمرين عظيمين:**

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٠٤٨) من حديث أبي بكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلمٌ (٩١١)، من حديث أبي مسعودٍ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **أحدهما:** أنَّه آيةٌ من آيات الله؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُبدي لنا من الآيات ما يُرسِّخ إيماننا، ويزيد إيقاننا، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام].

ولمَّا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في آخر سورة آل عمران صفات أولي الألباب قال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١].

فمن الأحوال العظيمة في مثل هذا: شهود قلوبنا أنَّ هذه آيةٌ عظيمةٌ من آيات الله الَّتي يُبديها لنا؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ كما يجعل الشَّمس كلَّ يومٍ مضيئةً ذات نورٍ وضياءٍ، فإنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادرٌ على أن يسلبها ذلك النُّور، وأن يترك النَّاس في ظلماءَ.

وإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُهيِّئ الخلق لهذا؛ ليومٍ يذهب فيه ضياء الشَّمس أجمع؛ وهو يوم القيامة، فيُراد من ذلك أن تكون هذه الآية مذكِّرةً بذلك اليوم العظيم؛ الَّذي يذهب فيه نور الشَّمس والقمر جميعًا.

* **وأمَّا الأمر الثَّاني:** فإنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لمَّا أخبرنا بكونها آيةً من آيات الله قال: «**لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ**» (١) أي أنَّ هذه الحوادث الَّتي

(١) أخرجه البخاريُّ (١٠٤٣) ومسلمٌ (٩١٥)، من حديث المغيرة بن شعبةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

تجري في ملكوت الله عَزَّوَجَلَّ لا تجري للأسباب الَّتي كان يعتقدها مشركو العرب؛ ومنها أنَّها تكون لموت عظيمٍ، أو ميلاد عظيمٍ، ولكن كما قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّمَا يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ**»؛ لأنَّ القلوب تُساق تارةً إلى الله بالتَّخويف، وتارةً تُساق إلى الله بالتَّرجية والتَّأميل.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرهِّب الخلق تارةً، ويُرغِّبهم تارةً أخرى.

ومنفعة التَّخويف: أنَّه يعيد النَّاس إلى ربِّهم؛ فيتوبون إليه.

والله عَزَّوَجَلَّ لمَّا ذكر في سورة الذَّاريات ما أصاب المكذِّبين بالرُّسل قال بعد ذلك: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذَّاريات].

وخوَّفنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نفسه؛ كما قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ﴾ [آل عمران:٢٨]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النِّساء:١].

وكذلك خوَّفنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرُّجوع إليه يوم القيامة؛ فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمٗا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:٢٨١].

وخوَّفنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ النَّار: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران].

والمراد من ذلك: أن يسوق هذا التَّخويفُ العبادَ إلى التَّوبة إلى الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فيتوبون إلى الله، ويَنزجِرون عمَّا هم عليه من المعاصي، ويستكثرون من الطَّاعات.

ومن رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للخَلق: أن جعل مثل هذه السِّياط الَّتي تُساق بها القلوب؛ فإنَّ ابن آدمَ قد طُبع ومعه الخطيئة والسَّيِّئة؛ فـ «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**» (١).

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسيِّ: «**يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**» (٢).

فالمراد من تخويف النَّاس هو عودتُهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالتَّوبة؛ فينخلعوا عمَّا هم عليه مِن المعاصي، ويكثروا من الحسنات الماحية؛ ويسألوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المغفرة والرَّحمة.

فالمراد من هذه المشاهد العظيمة أن يرجع الخلق إلى ربِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالتَّوبة، فما من أحدٍ إلَّا وهو ذو ذنبٍ.

وما جعل الله عَزَّوَجَلَّ هذه الآية وأشباهها إلَّا لتذكير النَّاس بالتَّوبة إلى ربِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والانخلاع من ذنوبِهم.

فينبغي أن يبادر الإنسان إلى شهود هذين الأمرين العظيمين، وأن يجتهد

---

(١) أخرجه ابن ماجهْ (٤٣٧٥) من حديث أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلمٌ (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذرٍّ الغِفاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في مثل هذه الآيات بما أُمِرنا به؛ كأن يجتهد بالصَّلاة، والدُّعاء، والذِّكر، والتَّسبيح، والاستغفار، والصَّدقة، والعتق - إن كان هناك عتقٌ في زمانه أو في مكانه -، فهذه الأمور العظيمة الَّتي جاءت بها الشَّريعة هي الَّتي أُمرنا بها.

وأمَّا الاشتغال بالنَّظر إلى الشَّمس، ورصدُ ذلك عبر المراصد: فهذا من الاشتغال بالمفضول عن الفاضل.

فيُزيَّن للنَّاس متابعةُ هذه الحوادث الفلكيَّة، فينظرون إليها بأبصارهم ولا ينظرون إليها بقلوبهم! فهم ينظرون إليها بأبصارهم أنَّ الشَّمس يحلُّ بها كذا وكذا، ثمَّ تنتقل في الوقت الفلانيِّ من درجة كذا إلى درجة كذا، ويغفلون عن النَّظر إليها بقلوبهم، وأنَّ هذه آيةٌ عظيمةٌ من الآيات الَّتي جعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده تخويفًا وتذكيرًا.

فينبغي أن يغتنم الإنسان هذه الفرصة الَّتي أُوتيت له بأن يعود إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويتوب إليه، وأن يشتغل بما أمره الله عَزَّوَجَلَّ من الدُّعاء، والصَّلاة، والذِّكر، والتَّسبيح، والاستغفار، والتَّكبير، والصَّدقة، والعتق، لا أن يشتغل بأمورٍ أخرى بعيدةٍ عنها.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يتغمَّدنا برحمته، وأن يتقبَّل منا حسناتنا، وأن يُكفِّر عنَّا سيِّئاتنا.

اللَّهمَّ آت نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها.

اللَّهمَّ إنَّا نسألك الهدى، والتُّقى، والعفاف، والغنى.

اللَّهمَّ اهد ضالَّ المسلمين، اللَّهم اهد ضالَّ المسلمين، اللَّهمَّ اهد ضالَّ المسلمين.

اللَّهمَّ ولِّ على المسلمين خيارهم، وقهم شرَّ شرارهم.

اللَّهمَّ أرنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

اللَّهمَّ إنَّا نعوذ بك من شرِّ الأشرار وكيد الفجَّار، اللَّهمَّ إنَّا نعوذ بك من شرورهم، وندرأ بك في نحورهم.

اللَّهمَّ احفظ على هذه البلاد إيمانها، وأمنها، وولاتَها، وعلماءها، ووفِّق جميع أهلها والمسلمين عامَّةً إلى ما تحب وترضى.

والحمد لله ربِّ العالمين.

أُلقيَت ليلة الأربعاء الثلاثين من ربيعٍ الآخر
سنة إحدى وأربعين بعد الأربعمائة والألف